أضواء على المذاهب الهدامة

الماسونية
الشيوعية
الاشتراكية
القومية

من مقرر طلاب الشهادة العالمية بكلية الشريعة
في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة



عبدالقادر شيبة الحمد

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحمد، عبد القادر شيبة

أضواء على المذاهب الهدامة./ عبد القادر شيبة الحمد. ـ الرياض، ١٤٣٣هـ

٨٠ ص؛ ١٤ × ٢١سم

ردمك: ٢-٩٧٣٠-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

١- الغزو الفكري ٢-الإسلام ـ دفع مطاعن ٣- الإسلام والمذاهب أ.العنوان

ديوي ٢١٩,٩ رقم الإيداع: ١٤٣٣/٣٣٦٨

الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م

أضواء على المذاهب الهدامة

الماسونية

الشيوعية

الاشتراكية

القومية




بسم الله الرحمن الرحيم



المحتويات



ـ مقدمة ـ

الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، ونصلي ونسلم على خيرة ربنا من خلقه محمد نبي الله المصطفى وحبيبه المرتضى ورسوله المجتبى، من بعثه الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

أما بعد:

فهذه مذكرة من مقرر طلاب الشهادة العالية بكلية الشريعة بالجامعة الإسلامية، قصدت فيها إلى بيان أصول

بعض المذاهب الهدامه على طريقة مختصرة وأسلوب سهل، وآمل أن تكون أحد المصابيح الكاشفة لجذور الفساد، ودعاة الإلحاد، حتى يتمكن الهداة بالحق من هدم باطل المبطلين، ورد شبه المضللين، على حد قول الشاعر:

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه

ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه



عبد القادر شيبة الحمد

ـ الماسونية ـ

الماسونية جمعية سرية يهودية الأصل، ومعنى ماسون أو فرمسون: (البناؤون الأحرار).

وقد أسس المحفل الأعظم لهـذه الجمعية لأول مرة في بريطانيـا عـام ١٧١٧م، وقد زعم دعاتهـا أنهم يهدفون إلى مبادئ ثلاثة هي: الحرية، والإخاء، والمساواة.

ومقصودهم مـن الحرية في الواقع أن يتحرر الناس من أديانهم، وأن يرتكب الإنسـان ما شـاء له هـواه دون رادع أو زاجـر، وأن يخالف جميع مـا تأمر به الشرائع، وأن تفعل

المرأة ما شاءت من الزيغ والرجس والفساد والتهتك والانحلال تحت ستار الحرية.

كما أن مقصودهم من الإخاء هو محاربة روح التمسك بالدين، وأنه لا فرق بين يهودي ونصراني ومسلم ومجوسي وبوذي وشيوعي؛ فالناس كلهم إخوان، وعليهم أن يحاربوا أي استمساك بأي دين، ويسمون من يلتزم مبادئ دينه بأنه متعصب مذموم.

كما أن مقصودهم من المساواة كذلك هو ملء قلوب الفقراء بالحقد والضغينة ضد الأغنياء، وملء قلوب الأغنياء بالحقد والضغينة على الفقراء.

وبعد مائتي سنة تقريبا من وجود المحفل الأعظم الماسوني في بريطانيا انتشرت المحافل الماسونية في العالم ولا سيما في فرنسا وروسيا وأمريكا والهند.

حتى صار في أمريكا وحدها عام ١٩٠٧م أكثر من خمسين محفلاً ماسونياً رئيساً، تتبعها آلاف المحافل.

ثم نشرت المخابرات الإيطالية عام ١٩٢٧م في عهد موسوليني أنها اكتشفت ٣٦ ألف جمعية ماسونية في العالم يتبعها ملايين الناس.

وقد عمد الماسون إلى اصطياد رجال ونساء إلى فخاخهم من جميع الديانات، ممن يأملون فيهم أن يخدموا أهدافهم في بلادهم، فإذا تمت تجاربهم على العضو وأيقنوا أنه يستطيع أن يكون عبداً مطيعاً لمبادئهم وأغراضهم بذلوا حوله كل ما يستطيعون من وسائل الدعاية لتركيزه.

وصار له عندهم وصف كسكرتير أعظم أو أستاذ أو قطب أو قطب المحفل الماسوني الذي ينتمي إليه، ولا يصل العضو إلى هذه المراتب إلا بعد اختبار شاق، فهم في بادئ دعوة العضو وبعد أن يدرسوه نفسياً يدخل العضو في سرداب طويل مليء بالجماجم الإنسانية المعلقة بالسيوف والخناجر التي تكاد تمس رأسه وهو مار من تحتها، ويقال له: هذه رؤوس من باحوا بالسر.

ثم تعصب عيناه ويتسلمه رجلان قويان نشيطان ويضعان حبلاً على عنقه كأنهما يريدان شنقه وهو مستسلم لهما، ثم يدفعانه إلى غرفة سوداء، فيرفعان غطاء عينه ليرى صندوقاً ثم يدخلانه في الصندوق وحبل المشنقة في عنقه، إذا وجدوا منه استسلاماً كاملاً فعلوا به كقوم لوط، فإذا لم يجدوا منه أي مقاومة اعتبر ناجحاً وأعطي الدرجة التي يستحق.

وقد بدأ الماسون في تشكيل هيئات أخرى لتظهر في صورة غير ماسونية كان من بينها الشيوعية الحديثة والاشتراكية والصهيونية.

فهذه المذاهب الثلاثة تلتقي مع الماسونية في أغراضها وأهدافها، وإن تشكلت بأشكال مختلفة؛ ولذلك رأينا شعار الشيوعية من (المنجل) شبيهاً بشعار الماسونية من المطرقة والسندان وآلات الهدم والبناء.

ولذلك رأينا دعاة الاشتراكية في البلاد العربية مع اختلافهم يرددون نفس شعار الماسونية فهتافهم: الحرية

والوحدة والاشتراكية، وهي في الحقيقة عين ما يردده الماسون: الحرية والإخاء والمساواة.

فالهدف الأول لم يختلف حتى في الاسم، والهدف الثاني معناه عندهما واحد، وكذلك الهدف الثالث.

والماسون يتفقون مع الصهيونية في أنهما يعملان حقيقة لإعادة بناء هيكل سليمان،كما أن الأفعى رمز للماسونية والصهيونية جميعاً، وقد تمثل ذنبها في القدس ورأسها يدور ليبتلع العالم ويرجع ليلتقي بالذنب بعد أن تقضي هذه الأفعى على مقدرات جميع الأمميين.

وقد قسمت الماسونية جمعياتها حسب مخططاتها وأغراضها، فبعض هذه الجمعيات لإثارة الطلاب، وبعضها للاستيلاء على أفكار الصحفيين والكتاب والمؤلفين، وبعضها لإثارة العمال والفلاحين، وبعضها مختصة بالعسكريين، وبعضها لإحداث الانقلابات والفتن والقلاقل في الدول إلى غير ذلك.

فالماسون وراء الثورة الفرنسية، وهم وراء مذبحة استنبول التي ذبح فيها ٦٨ ألف مسلم عام ١٩٠٨م، وهم كذلك وراء حرب البلقان عام ١٩١٢م، والتي أثارت كذلك الحرب العالمية الأولى، وهم كذلك مدبرو الانقلاب ضد السلطان عبد الحميد، وهم كذلك مزيلو الخلافة الإسلامية.

كما أن الماسون قد يؤيدون دعوات ليسوا في الأصل منشئيها إذا وجدوا أن هذه الدعوات تخدم بعض أغراضهم ولو إلى حين.

ولذلك أيدوا داروين في نظرية التطور والارتقاء، وبذلوا كل دعاية ممكنة لترويج مذهبه الفاسد؛ لأنه يحدث بلبلة ضد الأديان؛ كذلك أيدوا دعاة القومية العربية مع أنها في الواقع مؤسسة نصرانية كما سيجيء، ومع أنها كذلك تخالف بعض مبادئهم ضد الأمميين، لكنها لما كان ترويجها يحطم روح الدين في نفوس أهلها ويؤدي إلى محاربة الأديان قام الماسون بالترويج والدعاية لها.

وكان من أعظم وسائل الماسون هو الاستيلاء على وسائل الدعاية في العالم من الصحافة والإذاعة والكتابة وغيرها من شؤون الإعلام.

كما أن من أعظم وسائلهم الاستيلاء على المناصب الحساسة في إدارة الدول بوضع خبراء من اليهود أو مؤيديهم في تلك المناصب، وإليكم بياناً بأسماء ووظائف بعض هؤلاء كما جاء في كتاب أسرار الماسونية للجنرال جواد رفعت آتلخان:

(مكتب السكرتارية لهيئة الأمم المتحدة، وهو أهم شعبة فيها)

(١)	الدكتور أج اس بلوك	رئيس قسم التسليح	يهودي
(٢)	أنتوني كولات	رئيس الأمور الاقتصادية	يهودي
(٣)	أنش كار روزنبرغ	المشاور الخاص للشؤون الاقتصادية	يهودي
(٤)	دافيد ونتراوب	رئيس قسم الميزانية	يهودي
(٥)	كارل لا جمتي	رئيس قسم الخزائن والواردات	يهودي
(٦)	هنري لانكير	معاون سكرتير الشؤون الاجتماعية	يهودي

(٧)	الدكتور ليون استينتك	رئيس قسم المواد المتبادلة	يهودي
(٨)	الدكتور شيكويل	رئيس قسم حقوق الإنسان	يهودي
(٩)	أج أي ويكوف	رئيس دائرة مراقبة البلاد غير المستقلة	يهودي
(١٠)	بنيامين كوهين	مساعد السكرتير العام لقسم الاستعلامات العامة	يهودي
(١١)	جيء بنيوت ليفي	رئيس قسم الأفلام	يهودي
(١٢)	الدكتور إيفان كرنو	مساعد السكرتير العام لشعبة القوانين	يهودي
(١٣)	أبراهام أج فيللر	رئيس الشعبة القانونية	يهودي
(١٤)	جي سأند برك	مشاور شعبة القانون الدولي	يهودي
(١٥)	دافيد زايلو دويسكي	رئيس قسم المطبوعات	يهودي
(١٦)	جرجورا بنوفيح	رئيس قسم المترجمين	يهودي
(١٧)	ماركس ارامو فيج	رئيس قسم التصاميم	يهودي
(١٨)	مارك شولبر	رئيس قسم	يهودي
(١٩)	بي سي جي كن	مدير المحاسبة العامة	يهودي
(٢٠)	مرسيدس بركمن	مدير الذاتية	يهودي
(٢١)	الدكتور أي سنجر	رئيس قسم المراجعات	يهودي
(٢٢)	باول رادزياتكو	رئيس أطباء قسم الصحة العالمية	يهودي

(مركز الاستعلامات في هيئة الأمم المتحدة)

(١)	جرري شبيرو رئيس	قسم الاستخبارات لمركز جنيف	يهودي
(٢)	بي . ليتفكر	قسم الاستخبارات لمركز الهند	يهودي
(٣)	هنري فاست	قسم الاستخبارات لمركز الصين	يهودي
(٤)	الدكتور جالوس ستاوسكي	رئيس قسم الاستخبارات لمركز وارسو	يهودي

(شعبة الأقسام الداخلية لهيئة الأمم المتحدة)

(١)	دافيد آي.مريس (اسمه الحقيقي موسكوفيج)	رئيس الأقسام الداخلية الدولية	يهودي
(٢)	في.كبريل كارسز	رئيس الأقسام الداخلية لمنطقة خط الاستواء	يهودي
(٣)	جان روزنر	مخابر بولونيا لشعبة الأقسام الداخلية	يهودي

(مؤسسة التغذية والزراعة)

(١)	أندري ماير	رئيس شعبة التغذية والزراعة	يهودي
(٢)	أي بي جاكسون	الممثل الدانماركي في شعبة التغذية والزراعة	يهودي
(٣)	آي فريس	الممثل الهولندي في شعبة التغذية والزراعة	يهودي
(٤)	آم ام ليبمين	رئيس شعبة التعمير	يهودي

(٥)	كيرواكاردوس	رئيس شعبة التعايش	يهودي
(٦)	بي كاردوس	رئيس شعبة المتفرقات	يهودي
(٧)	أم أزاكل (حسقيل)	رئيس شعبة الاقتصاد التحليلي	يهودي
(٨)	جي بي كاكان	المشاور الفني لشعبة الغابات	يهودي
(٩)	أم أي هارير من	رئيس شعبة صيانة الغابات	يهودي
(١٠)	جي ماير	رئيس قسم التغذية	يهودي
(١١)	أف ويسل	رئيس قسم الإدارة	يهودي

(اليونسكو مؤسسة التعليم والثقافة والفن)

لقد ثبت أن شعبة التعليم والثقافة والفن تدار من قبل شخصيتين يهوديتين، وهما :

(١)	آلف سومر فيلد	رئيس لجنة التبادل الخارجي	يهودي
(٢)	جي ايزنهارد	رئيس لجنة تنظيم الثقافة العالمية	يهودي

وهناك آخرون في هذه الشعبة وهم

(١)	ام لافهن	رئيس شعبة الثقافة العالمية	يهودي
(٢)	اج كابلن	رئيس قسم الاستعلامات العام	يهودي
(٣)	س اج ويتز	رئيس قسم الميزانية والإدارة	يهودي
(٤)	اس سامول سيليكي	رئيس شعبة الذاتية	يهودي
(٥)	بي ابراميسكي	رئيس شعبة الإيواء والسياحة	يهودي

(٦)	بي ويرمل	رئيس مكتب هيئة التعيين	يهودي
(٧)	الدكتور أي ويلسكي	رئيس المصلحة الفنية لشعبة صحارى آسيا	يهودي

(بنك الإعمار الدولي)

(١)	ليونارد بي رست	المدير الاقتصادي للبنك	يهودي
(٢)	لو يولد جميلة	الممثل الجيكوسلفاكي في مجلس شورى الإدارة	يهودي
(٣)	أي يولاك	عضو الشورى لمجلس الإدارة	يهودي
(٤)	أي ام جونك	الممثل الهولندي في مجلس شورى الإدارة	يهودي
(٥)	بي منديس	الممثل الفرنسي في مجلس شورى الإدارة	يهودي
(٦)	جي ام برنلبس	ممثل بيرو في مجلس شورى الإدارة	يهودي
(٧)	ام ام مندلس	سكرتير بنك الإعمار الدولي	يهودي
(٨)	وي ابراموفيج	ممثل يوغسلافيا في مجلس شورى الإدارة	يهودي

(صندوق النقد الدولي)

وهذه المؤسسة تشكل العمود الفقري لهيئة الأمم المتحدة

(١)	جوزيف كولدمن	العضو الجيكوسلفاكي في هيئة الإدارة	يهودي
(٢)	بي منديس	الممثل الفرنسي في هيئة الادارة	يهودي

(٣)	كميل كات	المديـر العام لمؤسسـة صندوق النقد الدولي	يهودي
(٤)	لويس رامينسكي	مدير إدارة قسم كندا في المؤسسة	يهودي
(٥)	دبل ي كاستر	مدير إدارة قسم هولندا في المؤسسة	يهودي
(٦)	لويس ألتمن	معاون المدير العام	يهودي
(٧)	أي أم برنستن	مدير قسم التدقيق	يهودي
(٨)	ليو ليفانفال	المشاور الأقدم للمؤسسة	يهودي
(٩)	جوزيف كولد	المشاور الأقدم للمؤسسة	يهودي

(مؤسسة اللاجئين الدولية)

(١)	ماير كوهن	المدير العام لقسم الصحة والمداواة العالمية	يهودي
(٢)	بييرجا كويسن	المدير العام لإعادة واستيطان اللاجئين	يهودي

(مؤسسة الصحة العالمية)

(١)	زت دوستجمن	رئيس الشعبة الفنية	يهودي
(٢)	جي ماير	رئيس قسم الطب	يهودي
(٣)	دكتور ام كودمن	المدير العام لقسم الجراحة	يهودي
	أي زارب	المدير العام للمؤسسة	يهودي

(مؤسسة التجارة العالمية)

(١)	ماكس لوتنز	رئيس اللجنة الداخلية	يهودي
(٢)	أف سي وولف	رئيس قسم الاستعلامات الدولية	يهودي





ـ الشيوعية ـ

(تعريف)

أطلق العرب على المذهب الاقتصادي الذي تسير عليه روسيا ومن نحا نحوها (الشيوعية)، وهي في أصل اللسان العربي من قولهم: سـهم شائع، إذا كان غير مقسوم. وهذه المادة اسـتعملت في اللسـان العربي في عدة أحوال كذلك، وكلها تدور على الذيوع والانتشار، فمن ذلك قول العرب «الشاع» للمنتشر من بول الناقة.

(تاريخ)

مزدك:

عرف العالم القديم الشيوعية في صور شتى، ومن ذلك ما أثر عن (مزدك) الفارسي الذي ظهر في عهد الملك (قباذ) ملك فارس، وكان هذا الملك ضعيفاً مهيناً فسدت في عهده الرعية، فزعم مزدك أنه نبي، وأخذ ينهى الناس عن المباغضة والمخالفة والقتال، وأعلن أن سبب هذه الفتن هي النساء والأموال؛ لذا رأى أن تباح النساء لكل راغب، وأن تباح الأموال لكل طالب؛ حتى يشترك فيها الناس اشتراكهم في الماء والهواء.

وقد انتشر مذهبه في عامة بلاد فارس، ودخل فيه (قباذ) نفسه. وقام الفقراء بتقتيل الأغنياء، وصار الجماعة منهم يدخلون على الرجل فيقتلونه ويثبون على أمواله ونسائه، فغضب لذلك بعض عظماء فارس وبخاصة (أنوشروان)

ابن الملك قباذ، وزعيم آخر يقال له (ساجور) وتآمروا على (مزدك) وقتلوه وخلعوا (قباذ) وعينوا أخاه (جاماسب) ملكاً عليهم، وحاولوا القضاء على فتنة المزدكية، غير أن (قباذ) استطاع أن يعود إلى الملك وأن يحبس أخاه.

فقوي بذلك شر المزدكية من جديد، واستمرت إلى أن قتل (قباذ) وتولى بعده ابنه (أنوشروان) الذي ولد في عهده رسول الله ﷺ، فلما استقل بالملك وجلس على السرير قال لخواصه:

- إني عاهدت الله إذا صار إلي الملك ألا أبقي على أحد من المزدكية الذين أفسدوا أموال الناس ونساءهم.

وكان عند سريره رجل مزدكي، فقال لأنوشروان:

- أتقتل الناس جميعاً؟

فنظر إليه (أنوشروان) وقال له:

- أتذكر يا ابن الخبيثة يوم طلبت من أبي أن يأذن لك في

المبيت عند أمي فأذن لك، ولما ذهبت إلى حجرتها لحقت بك وقبلت رجلك التي أثر نتن جوربها في أنفي وتضرعت إليك حتى وهبتها لي ورجعت؟

فأقر الرجل أمام الحاشية بما قال الملك، فأمر بقتله، فضربت عنقه وأحرقت جثته، ثم أمر أنوشروان باستئصال شأفة المزدكية وقضى عليهم.



(كارل ماركس)

كما عرفت الشيوعية في العصر الحديث في صور متقاربة بزعامة رجال تكاد تتشابه ظروف حياتهم مع حياة (مزدك الفارسي، وأشهر هؤلاء الزعماء (كارل ماركس).

حياته:

ولد (كارل ماركس) عام ١٨١٨م من أبوين يهوديين، غير أن أباه لم يستقر على دين آبائه اليهود، فقد تنصر وترك دين اليهودية. أما (كارل ماركس) فقد ظهر في أول شبابه حريصاً على الدين، فقد أثر عنه أنه كان يقول آنذاك:

«الدين أساس الحياة الإنسانية، وهو يلقننا الحكمة والخير».

نفسيته:

بيد أن خبيئة (ماركس) كانت تعلن عن نفسها في كثير من الأحيان، وقد كان هذا الإعلان يبدو تناقضه في كثير من الأحوال، ويعلل ذلك (اوتورهل) الماركسي إذ يقول:

- «إنه كان نموذجياً فيما كان يعانيه من اختلال نشاطه الروحي، وكان على الدوام متقلباً حقوداً لا يزال في تصرفه عرضة لتأثير سوء الهضم والانتفاخ وهياج الصفراء، وكان موسوساً يغلو كجميع الموسوسين في الشعور بمتاعبه الجسدية».

وقد عثر على رسالة كتبها والد (ماركس) يصف فيها حال ولده بأنه يقضي جل لياليه مرهقاً جسده وعقله في دراسة لا لذة فيها، معرضاً عن جميع الملهيات في طلب المشكلات الغامضة ليهدم غداً ما بناه اليوم.

وقد كان (ماركس) يهمل دروسه وينقطع عن معهده الأسابيع المتواصلة متابعاً لما شذ من الآراء التي يبنيها اليوم ويهدمها غداً، أو باحثاً عن اللذة الجنسية والمتاع الجسدي. وقد شغف أولاً بدراسة القانون ثم تركه وشغف بدراسة الفلسفة ثم تركها، واشتغل بدراسة المذاهب الاقتصادية. وحصل على شهادة الدكتوراة بالمراسلة من جامعة جينا الألمانية عام ١٨٤١م.

وكان ماركس أيام حياته الدراسية عالة على أبيه (هرشل) فلما مات أبوه صار عالة على أمه وأخته حتى عجزتا عن مواصلة الإنفاق عليه، فصار يلجأ إلى الاستدانة من أقربائه وأصدقائه وبخاصة من (أنجلز) قرينه في الدعوة إلى الشيوعية.

وكان أصدقاؤه إذا ضاقوا من طلباته حاولوا أن يكلفوه ببعض الأعمال التي قد تدر عليه بعض الرزق، ولكنه كان يبوء بالفشل في كل عمل يسند إليه.

وكان (ماركس) قد تعرف على فتاة بارعة الجمال في أثناء دراسته للحقوق في جامعة (بون) تدعى (جيني)، ولم يكن أحد قد اشتم منه رائحة نزعته الشيوعية إلى ذلك الحين. وكان عمره لا يتجاوز العشرين. وقد وقعت الفتاة في قلبه وهام بها، ولم يكن في أول أمره ذلك يفكر في الزواج منها، نظراً لأنها من طبقة فوق طبقة أهله، والتقاليد تقف حجر عثرة في سبيله، غير أن الفتاة بادلته الحب ورغبت في الزواج منه ولم تعبأ بالفوراق الطبقية التي توجد بينهما.

وقد بذل (ماركس) و(جيني) كل ما يستطيعان لتحقيق حلمهما في الاقتران الرسمي وتمكين عواطفهما المشبوبة من الحصول على ثمرة طويلة، حتى تمكنا من ذلك، إذ أعلنت الفتاة في عزم وإصرار أنها لن تتخلى عن (ماركس) مهما كانت الفوارق الطبقية بينهما، وأنها راضية به على أي حال.

وعلى الرغم من تحقيق هذا الحلم فقد بدأ (ماركس) يشعر بالحقد الثائر نحو نظام الطبقات الذي كاد يحول بينه وبين حبيبته جيني، وقد بدأت مشكلة المعاش ـ له ولزوجته ـ تتعقد أمامه، فقد زادت نفقاته ولم يتحسن إنتاجه ولا سيما بعد أن صار ذا أولاد.

وقد صورت زوجته (جيني) ما صارت إليه هي وزوجها من البؤس في كتاب إلى صديق لها تطلب منه أن يمد لها يد المساعدة قالت فيه:

«ائذن لي أن أصف لك يوماً من أيام هذه الحياة، وسترى أن غيرنا لم يقاس ما قاسينا، فأنا مريضة سقيمة، ومع أن

ثديـي وظهري بهما أوجـاع وآلام بالغة فإننــي مضطرة إلى أن أرضع طفلي الرابع الحديث الولادة؛ لأنني لا أسـتطيع أن أدفـع أجـرة مرضعـة، ولكــن كان طفـلي يرضع الحزن والألم والجـوع فيتلـوى مـن المرض ليلاً ونهـاراً. ومع هذا الفقـر والحاجة فقد دخلـت علينا صاحبـة المنزل وطلبت منـا أجـرة البيت، كما طالبت بما علينا لهـا من قروض، ولما كنـا عاجزين عن الدفع فقـد حجزت على كل ما نملك في البيت حتى فراش الطفل وباعته بما لها علينا من الدين، ثم طردتنا إلى الشـارع والمطر ينهمر بغـزارة، والبرد قارس لا يرحم، وبذل زوجي (ماركس) كل ما في وسـعه من جهد فلم نجد من يقبل إيواءنا».

كـما كتبـت (جينـي) مـرة أخرى تصـف إحـدى ليالي البؤس التي مرت بها وبـ (ماركس) فتقول:

- «أحســت ابنتنا بنزلة شـعبية، وصارعت الموت ثلاثة أيـام ثـم ماتـت. وأخذنا نبكـي عليهـا، ولم يكــن لدينا ما نجهزهـا ونكفنهـا به، وأبقينـا الجثة حتى نجد ما نسـتعين

به على دفنها، ومضيت إلى جار فرنسي مهاجر فأعطاني جنيهين!

وأسفاه! .. وفدت ابنتنا إلى الدنيا فلم تجد مهداً، وعندما غادرت الدنيا لم تجد كفناً».

من هذه الصورة نستطيع أن نعرف الدوافع التي حدت بـ (ماركس) أن يكون داعياً لمصارعة الطبقات، ثائراً عنيداً في الدعوة الشيوعية، عبداً ضارعاً أمام محراب المادية، ينفث سمومه في نواحٍ متعددة من أوروبا ولا سيما في إنجلترا حتى مات عام ١٨٨٣م.

ولما قامت الثورة الروسية ضد القياصرة من أسرة (رومانوف) بعد الحرب العالمية الأولى وتسلم قيادة الثورة (لينين) ـ أحد الماركسيين ـ ظهرت الشيوعية الرسمية لأول مرة في العصر الحديث.



(المذهب الماركسي)

روحه وصورته:

للمذهب الماركسي روح وصورة، أما روحه: فهي فلسفته في الكون، وأنه لا أثر فيه لغير المادة، فلا إيمان إلا بالمادية.

وأما صورته: فهي المخططات الرئيسة التي لابد منها لقيام المجتمع الشيوعي.

المادية:

أعلن (ماركس) أنه لا يؤمن بغير المادة، وأن كل شيء في الوجود إن هو إلا أثر من آثار المادية، والمادية في نظر (كارل ماركس) تعني عدم الإيمان بالغيب، كما تعني الكفر بالله فاطر السموات والأرض، وإنكار جميع المظاهر الدينية والمذاهب الروحية، والمنازع الأخلاقية، والتقاليد ونظام الزواج والأسرة، وكذلك إنكار العواطف والتأثرات النفسية

والوجدانية، والعلوم والمعارف والآداب، فهذه كلها في نظره من تضليلات أصحاب الثروة (الرأسماليين) لاستغلال الفقراء والمساكين. وليس هناك إلا المادة، فهي التي تكوِّن وقائع التاريخ، وما المظاهر الكونية كلها إلا مادة بحتة.

الدين:

يزعم (ماركس) أن الدين وسيلة من وسائل الاستغلال. اخترعه أصحاب الثروة والمسيطرون على مصادر الإنتاج؛ ليخدروا به الشعب حتى يسهل استغلالهم وتتيسر سرقتهم، وقد اضطرب (ماركس) في شأن الدين اضطراباً عنيفاً، فمرة يقول فيه: إنه (أفيون الشعب) الذي يخدرها عن رؤية الحقائق المادية. ومرة يزعم أنه انعكاس القوى الظاهرية التي تسيطر على معيشة الإنسان اليومية؛ على معنى أن الإنسان يرى في المناظر الطبيعية قوة جبارة لا مناص له من الخضوع لها. فتراه يعبد منها ما لا يدركه. وطوراً يصفه بأنه تزلف من واضعيه إلى أرباب السلطان وأصحاب رؤوس الأموال. وحينا يقول:

«إنـه الغذاء الخادع للضعفـاء؛ لأنه يدعوهم إلى احتمال المظـالم في الوقـت الـذي لا يتمكـن مـن إزالتهـا» وأحياناً يقـول: «هو خمرة الشـعوب يروضها على الفقر والمسـكنة ويلهيها بما يغريها من نعيم الآخرة عن نعيم الدنيا؛ ليستأثر بـه سـادةُ المجتمـع ويغتصبـوا منه علانيـة أو يسرقـوا منه خلسة ما يطيب لهم أن يغتصبوه أو يسرقوه».

وموقـف (ماركـس) المضطـرب في الديـن قرينـة لاضطرابـه النفـسي، وعجز ظاهـر عن مقارعـة الشرائع، وقـد فـاق (ماركس) الدهريـين في إنكار مـا وراء المادة إذ قالوا: ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾.

فـإن (ماركـس) حـاول أن يفـسر المظاهـر الدينية بهذه الآراء المضطربة.

فأين الرأسـماليون الذين أتى وحيهم بالإسـلام؟ وهل علم (ماركس) والماركسـيون بقصة المـلأ من قريش حينما أرسلوا أحد زعمائهم إلى الرسول ﷺ يقول له:

«إن كنتَ تريد المال جمعنا لك منه ما تريد حتى تصير أغنانا، وإن كنت تريد الملك ملكناك علينا، وإن كان بك شيء عالجناك».

وحينما انتهى سفير قريش من الخطاب يقول الرسول ﷺ:

«انتهيت يا عم؟ ثم يقرأ أول سورة فصلت حتى يبلغ: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾.

وحينئذ تتسرب أنوار الحقيقة إلى قلب ذلك السفير ويخاف على نفسه، فيضع يده على فم رسول الله ﷺ ويقول: «ناشدتك الرحم أن تكف». ثم يأتي قومه وينصحهم بطاعة رسول الله ﷺ ويقول:

«إن لكلامه لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه ليس من كلام البشر».

وهل علم ماركس والماركسيون قصة الملأ من قريش حينما اجتمعوا في بيت أبي طالب يقولون له:

«إما أن تنهى محمداً عن تسفيه أحلامنا، وتضليل معتقداتنا أو تخلّي بيننا وبينه»، حتى يقول له عمه: «يا ابن أخي لو أبقيت على نفسك» فيقول رسول الله ﷺ:

«والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه».

وهل يظن (ماركس) والماركسيون أن الملأ من قوم فرعون هم الذين أوحوا إلى رسول الله موسى عليه الصلاة والسلام بالدين الذي جاءهم به ودعاهم إليه، فيقول فرعون: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، فيقول: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾، فيقول لمن حوله: ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾، حتى يقول موسى: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾، فيقول فرعون: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾، فيقول موسى: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾، حتى يقول فرعون: ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾، فيقول موسى: ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ﴾.

وهـل يظن (ماركـس) والماركسـيون أن المـلأ من قوم فرعـون أو من بنـي إسرائيل هـم الذين أوحوا إلى موسـى بتحريـم المراباة، وأن يقاد للنفس بالنفس، والعين بالعين، والأذن بالأذن، والسن بالسن، وأن الجروح قصاص.

وهـل يظن (ماركـس) أن أغنياء اليهـود والرومان هم الذيـن أوحوا إلى عيسـى ابـن مريم حتى جـاء بالإنجيل، وهو الذي أثر عنه أنه يقول:

«إن دخـل إلى مجمعكم رجـل واحـد بخواتيم الذهب في لبـاس بهـي ودخل معه فقـير بلباس وسـخ فنظرتم إلى اللابس اللباس البهي وقلتم له:

- اجلس أنت هنا حسناً.

وقلتم للفقير:

- قف أنت هناك أو اجلس تحت موطئ القدمين.

فهل لا ترتابون في أنفسكم وتصيرون قضاة أفكار شريرة؟

وهل علم (ماركس) أن رجلاً من فقراء المسلمين مرَّ على رسول الله ﷺ وهو جالس مع بعض أصحابه ﷺ فقال: ما تقولون في هذا؟

قالوا: «حري به إن خطب ألا يخطب، وإن قال ألا يستمع، وإن شفع ألا يشفع».

ثم مر رجل من أغنياء المسلمين فقال: «ما تقولون في هذا؟» قالوا: «حري به إن خطب أن يخطب، وإن شفع أن يشفع، وإن قال أن يستمع».

فقال عليه الصلاة والسلام: «هذا ـ يعني الفقير ـ خير من ملء الأرض من مثل هذا ـ يعني الغني ـ».

ولا شك أن (ماركس) يجهل هذه الحقائق ولا يدري عنها شيئاً، ولو ادعى معرفتها لكانت البلية أخطر والمصيبة أعظم.

فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة

وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

الأخلاق والآداب:

يحارب الماركسيون جميع الأخلاق التي قد يتصف بها شعب من الشعوب أو فرد من الأفراد، بدعوى أن هذه الأخلاق سواء أكانت فردية أم جماعية ما هي إلا أثر من الآثار التي أوحى بها (الإقطاعيون)، وإن هي إلا خداع وتضليل للعمال والفلاحين من قبل الملاك وأصحاب الأموال.

والخلق الوحيد الذي آمن به الشيوعيون هو وجوب مخالفة سائر الأنظمة الأخلاقية، ومحاربة عموم أنواع الآداب المرعية في المجتمعات الإنسانية، وبخاصة ما كان منها نتيجة للأوامر الإلهية.

وقد قادهم هذا الشذوذ الخلقي إلى هتك الأسرة ومحاربة ناموس الزواج، ورأوا أن هدم ذلك من أقوى دعائم الشيوعية، فتساوى الزواج والزنى في نظامهم،

وحسن في أعينهم وقاع أمهاتهم وأخواتهم وبناتهم وعماتهم وخالاتهم، وانحطوا في سلوكهم الأخلاقي عن كثير من الحيوانات العجماوات.

وقد أصبحت لفظة (الكرام) عندهم لفظة مرذولة؛ فالمحبوب لديهم أن يُطروا بالرفقاء الأنذال، وأضحت كلمة (الشرف) من الألفاظ المدسوسة على الإنسانية بواسطة أصحاب الإقطاع، فيجب أن تداس بالأقدام (والأمانة) دسيسة خبيثة من دسائس المحافظة على رؤوس الأموال.

المعارف والعلوم:

ويرى الماركسيون أن المعارف والعلوم إنما ترجع إلى حاجة الإنسان (المادية) الجسدية، منكرين أن يكون لعقله أو وجدانه تأثير فيها، كما ينكرون أشد الإنكار أن تأتي من طريق السماء؛ وإنما تكون فقط وليدة حاجته المادية ومطالبه الحيوانية.

أمـا العلـوم والمعـارف والنظريات التـي لا تخضع لهذا التفسير الشيوعي فهي في نظرهم:

تضليلات .. وتخيلات .. وأوهام.



(المخططات الرئيسة لقيام المجتمع الشيوعي)

يرى الماركسيون أنه لابد لقيام المجتمع الشيوعي من خمسة أركان يبنى عليها، هي:

(١) استيلاء الطبقة الكادحة من العمال والفلاحين على مقاليد الحكم في أول الأمر.

(٢) تأميم وسائل الإنتاج ومصادر الثروة.

(٣) القضاء على رأس المال.

(٤) القضاء على الطبقات.

(٥) ثم القضاء على الحكومة.

(١) استيلاء الطبقة الكادحة على مقاليد الحكم.

يرى (ماركس) أن (الأُجراء) ولاسيما الأُجراء في الصناعة قابلون (للثورة الاجتماعية)؛ لأنهم لا يملكون شيئاً في المصانع، ولعلهم كذلك يحملون في الغالب قلوباً مملوءة بالحقد والضغينة على أصحاب الأموال، وهم الأداة السهلة اللينة التي تؤثر فيها مختلف الدعايات؛ لذلك اعتبر (ماركس) أن أول المخططات الضرورية لقيام المجتمع الشيوعي هو قيام الطبقة الكادحة (البروليتاريا) من العمال الصناعيين والأُجراء الزراعيين بالاستيلاء على مقاليد (الحكم) ومناصب الدولة حتى يهدم بهم الحكومات القائمة.

ونحن لا نرى عيباً في هذه القاعدة من حيث أن تكون الحكومة من طبقة الفقراء، فإن الفقر والغنى في نظرنا أعراض غير ذاتية؛ بل تتغير وتتبدل، إذ المال ظل زائل وعارية مستردة، والمرء عندنا بأخلاقه وآدابه لا بأمواله وكثرة متاعه.

وما المال والأهلون إلا ودائع ولابد يوماً أن ترد الودائع

غير أننا لا نرى أن يكون المسيطرون على مقاليد (الحكم) ولابد من طبقة الفقراء؛ إذ الغالب عليهم الفوضى والجهل، ولله در الشاعر إذ يقول:

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم

ولا سراة إذا جهالهم سادوا

غير أن نظام الماركسيين ينص على:

«إن قيام حكومة العمال والفلاحين هو شيء (مؤقت) وأنه حركة انتقالية إلى مرحلة الشيوعية الحقيقية التي لا تبقى فيها حكومة، وإنما ينطلق الشعب حراً بلا حكومة ولا سلطان».

بيد أن واقع الحياة الشيوعية لم ير هذه النظرية مطبقة في أي قطر من الأقطار التي بليت بهذا النظام، فجميع البلاد التي صارت إلى الشيوعية قامت حكومتها من جنس الحكومات التي كانت في تلك البلاد قبل الحكم الشيوعي.

ولم يقع أبداً أن صارت حكومة شيوعية من طبقة العمال والفلاحين.

ففي روسيا مثلاً كان الدور الذي قامت به الطبقة الكادحة هو إشعال نار الثورة ضد الحكم القيصري والقضاء عليه، ولما تم لرؤساء الحزب الشيوعي ما أرادوا من سقوط عرش آل (رومانوف) قبض رؤساء الحزب الشيوعي على زمام الحكم وأزاحوا العمال والفلاحين من الطريق وردوهم مدحورين إلى المصانع والمزارع ليقاسوا تحت سخط الحزب الشيوعي أشد ألوان المهانة والإرهاق.

وقد قام العمال والفلاحون بعدة ثورات كانت تقابل بأنكى صنوف القمع والإرهاب، ولم تمنع وسائل التعذيب الإجرامية هؤلاء من أن يقوم الكثير منهم بإحراق المحاصيل وتبديد الماشية والأموال حتى لا تقع في يد هؤلاء الحكام المستبدين.

وقد حاول (ستالين) أن يقضي على ثورات الطبقة

الكادحة بألوان شتى من أنواع القتل والحبس والنفي في مجاهل (سيبريا) والتهديد والوعيد فلم يفلح.

وفي منشور له في هذا الصدد يقول:

«لكي يضمن الكولخوزيون ـ المزارعون ـ لأنفسهم الحياة والعيشة يتطلب ذلك منهم أن يعملوا في (الكولخوزات) ـ المزارع التعاونية ـ ويحافظوا عليها، ولا ينسوا مسؤوليتهم تجاهها».

ولما قال العمال لستالين:

- لقد وعدتمونا بأن تكون الحكومة من العمال والفلاحين فلم لا تنفذون وعودكم؟

قال ستالين:

- لقد انتقلت السلطة وتركزت في يد حزب واحد هو حزبنا، ولن يشاركنا في توجيه الدولة أي فئة أخرى، وهذا ما يعنيه (بالدكتاتورية العمالية).

وهكذا نرى المخطط الأول من المخططات التي رسمها (ماركس) للمجتمع الشيوعي لم تكن إلا حبراً على ورق - كما يقولون -، بل صار العمال والفلاحون في المجتمع الشيوعي أحط أنواع العمال والفلاحين في العالم.

(٢) تأميم وسائل الإنتاج ومصادر الثروة.

يرى الماركسيون أن السبب الرئيس لتكوين الطبقات هو وسائل الإنتاج ومصادر الثروة، فلابد للقضاء على (نظام الطبقات) من القيام:

أولاً: بتأميم وسائل الإنتاج ومصادر (الثروة) وجعلها بدل أن تكون ملكاً لبعض الأفراد أن تصير ملكاً لجميع الأمة.

وهذا التأميم كذلك يُعَدُّ خطوة أولى لخطوة تليها هي القضاء التام على رؤوس الأموال والملكيات الفردية مهما كان نوعها، وهذه النظرية لا ترى أي حرمة لمن بيده شيء

من مصادر الثروة ووسائل الإنتاج، كما لا ترى أي قيمة لما بذله الأفراد في سبيل مشروع ولو في الأصل على الأقل للحصول على ما بأيديهم من أموال.

ولسنا نجادلهم بالأدلة الدينية التي توجب مراعاة الحرم والمحافظة على حقوق ذوي الحقوق، فإن الدين في نظرهم هو (أفيون الشعوب) وإنما نقول لهم:

لقد أممتم مصادر الثروة ووسائل الإنتاج، فماذا فعلتم بهذه الأموال المؤممة، وكان المفروض ـ بناء على دعواكم الأساسية ـ أن تصير ملكاً للمجموع يتساوون في الانتفاع بها. فهل صار في متناول كل فرد من أفراد أمتكم أن يحصل على شيء من هذه الأموال يسد بها عازته ويقضي منها وطره وحاجته؟!

والواقع أن الأموال المؤممة إنما انتقلت من ملك أربابها ومكتسبيها إلى خزينة الدولة؛ ليتصرف فيها الحكام حسب

أغراضهم وأهوائهم، وليبذلوا ما شاؤوا في سبيل امتداد حكمهم وسلطانهم، ولينغمسوا بها في الشهوات والملاذ إلى حلوقهم وأذقانهم، وقد كانت نتيجة هذا (التأميم) سلب أسباب الغنى من الأغنياء وإدامة الفقر والمسكنة للمساكين والفقراء.

(٣) القضاء على رأس المال.

والمخطط الثالث من المخططات اللازمة لقيام المجتمع الشيوعي هو القضاء على (رأس المال)، بدعوى أن رأس المال يشكل العمود الرئيس للظلم الواقع على رأس (الطبقة الكادحة).

أما كيفية هذا الظلم فيقرر الماركسيون بأن قيمة كل شيء هو العمل الإنساني الذي بذل فيه، وإذا لم يكن هناك استغلال وجب أن يأخذ العامل ثمرة العمل كلها، إلا أن صاحب رأس المال (يستغل) اضطرار العامل فلا يعطيه من قيمة عمله إلا جزءاً يسيراً قد لا يفي بكفايته، ولا يقوم

بحاجته الضرورية من القوت، ثم يأخذ صاحب رأس المال الزيادة لنفسه، ويصرفها في توسيع ثروته، فيزداد إمعاناً في الظلم وإغراقاً في سرقة حقوق العامل.

وهذه الزيادة بين رأس المال الأصلي وقيمة الإنتاج يسميها كارل ماركس (القيمة الفاضلة).

وهذه القيمة الفاضلة قد ذهب أكثرها إلى صاحب رأس المال، وقد كان من حق العامل أن يستولي على هذه القيمة الفاضلة كلها؛ لأنها في الواقع عند - ماركس - قيمة عمله وثمرة كده.

لذلك رأى ماركس أنه من الضروري القضاء على رأس المال حتى تتحطم السلاسل والأغلال التي يكبل بها الرأسماليون العمال والكادحين، ولابد أن يسري على الجميع بعد ذلك قانون قاطع هو:

«إن لكلٍ حسب حاجته، ولكلٍ حسب طاقته»، ومعنى ذلك أن الدولة تكفل لكل إنسان قدر ما يحتاجه في معاشه

من مطعم وملبس ومسكن، وتكلفه في نظير ذلك أن يبذل للدولة ما يطيقه من العمل!!

هذا .. ودعوى الماركسيين أن رأس المال يشكل العمود الفقري الرئيس للظلم الواقع على رأس الطبقة الكادحة هي دعوى فاسدة، بل رأس المال قد يكون سبباً في كثير من الأحيان في مد يد المساعدة والعون للطبقة الكادحة وتيسير أسباب المعايش لهم.

كما أن دعوى الماركسيين أن قيمة كل شيء هو العمل الإنساني الذي بذل فيه، وأن العدالة تقتضي أن يحصل العامل على جميع القيمة الفاضلة هي دعوى منافية للعدل والإنصاف، كذلك لما فيها من إلغاء الأدوات والآلات التي بذلها صاحب رأس المال والتي يسرت للعامل هذا العمل، كما أن أبسط قواعد الاقتصاد تبرهن على أن قيمة الشيء ليست العمل الإنساني الذي بذل فيه.

فالسلعة الواحدة قد يصنعها عامل في يوم ويصنعها عامل آخر في يومين، وقد يباع كتاب في سنة ما بدينار واحد، ولا يساوي في سنة أخرى أكثر من ربع دينار، وهذا الصنف من الشراب قد يرتفع سعره في بلد وينخفض في بلد آخر في نفس الوقت، مع أن العمل الإنساني الذي بذل فيه إنما هو عمل واحد؛ بل قيمة الشيء غالباً تخضع لنظام (العرض والطلب).

كما أن القانون الذي قرروا أن يكون لكل حسب حاجته ومن كل حسب طاقته، هو قانون خيالي؛ لأن حاجات الناس متفاوتة كتفاوت طباعهم. أي أن هذا العامل قد يكفيه قليل من الخبز والإدام لتوليد طاقة العمل في بنيته، وقد يزامله عامل آخر في نفس العمل ولا يكفيه ضعفه من الخبز والإدام لتوليد طاقة العمل لديه، كما أن بعض العمال قد يستطيع مباشرة عمله في الشتاء بلباس خفيف ولا يستطيع زميله في العمل أن يباشر إلا بلباس ثقيل قد يكلفه ضعف ما يحتاجه زميله السابق.

ومما يبين فساد هذه النظرية ومجافاتها لنظام الطبيعة والفطرة هو: عجز الشعوب التي سقطت في براثن دعاة الشيوعية عن تطبيقها، كما أنهم صاروا المثل الأسوأ في ظلم الطبقة الكادحة من الفلاحين والعمال.

فقد صار العامل في روسيا ـ مثلاً ـ يطلب منه أن يقدم أقصى ما يستطيع تقديمه من طاقة في مدة معينة، ثم تبيع الحكومة مجهود هذا العامل بأكثر مما كلفته حاجته التي فرضت أنها مساوية لمجهوده.

فمجهود العامل الذي يساوي ألف ريال كان ينبغي أن يحصل في نظيره على قدر حاجته التي يرى نفسه محتاجة إليها وقد تصل إلى ألف ريال مثلاً.

غير أن الحكومة هي التي حددت حاجته بنفسها دون أن يحددها المحتاج نفسه؛ فقد قدرت له ـ مثلاً ـ ستمائة ريال؛ فسرقت منه إذاً أربعمائة ريال.

وبهذا يكون هؤلاء الماركسيون قد وقعوا في أنحس مما عابوه على أصحاب رؤوس الأموال. على أن دعوة القضاء على رأس المال قد فشلت عند التطبيق لدى الشيوعيين، فقد اضطرت روسيا ـ مثلاً ـ إلى أن تبيح للفلاحين أن يتملكوا قطعاً صغيرة من الأراضي يستثمرونها لاستهلاكهم بشرط أن لا يعاونهم في استثمارها آخرون، كما نصت على ذلك المادة (السابعة والتاسعة) من الدستور السوفييتي.

كما أباحت الحكومة للفرد (تملك) أشياء أخرى كالماشية والبغال؛ وإن كانت الحكومة قد فرضت على الملكيات الفردية الصغيرة ضرائب باهظة حتى تتلاشى وتموت.

(٤) القضاء على الطبقات.

ذكرنا في بحث تأميم وسائل الإنتاج ومصادر الثروة أن الماركسيين يرون أن السبب الرئيس لتكوين الطبقات وجود وسائل الإنتاج ومصادر الثروة، وأنهم قرروا أنه لابد للقضاء على نظام الطبقات من القيام بتأميم وسائل

الإنتـاج ومصادر الثروة، وكأنهم بهـذا يقررون أن القضاء علـى (الطبقـات) لازمـة من لـوازم النظام الشـيوعي، بل هو أشـد ضرورة من التأميم؛ لذلك أذاعوا وأشـاعوا أنهم يركبون كل صعب وذلول لتحقيق ذلك الأمر الخطير.

تعريف الطبقة:

الطبقة في نظر الباحثين هي الفئة من الناس التي تختلف في مركزهـا الاجتماعي عن باقي الفئات التي تشـكل معها مجتمعاً ما.

فالعمال الزراعيـون والصناعيون طبقة، وصغار الملاك طبقـة، والمتوسـطون في الأملاك طبقة، وأصحـاب الثراء الواسـع والملـك العريـض والإقطاعيـون طبقـة، والمهرة العسكريون طبقة، والأمراء والنبلاء طبقة، ورجال الدين طبقة.

وقـد يصير الإنسـان في طبقة من هذه الطبقات بسـبب النسب، كما قد يصير إليها بسبب العلم، ولا مانع أن ينتقل

الإنسان من طبقة إلى طبقة أرفع أو ينحط إلى طبقة أسفل.

على حد قول القائل:

نفس عصام سوَّدت عصاماً وعرَّفته الكرَّ والإحجاما

وصيرته بطلاً مقداماً

وقول القائل:

أبوك أب حر وأمك حرة وقد يلد الحران غير نجيب

وهذا التعريف (للطبقة) لا يمنع وجود تعاون بين طبقة وأخرى، إذ هذا التفاوت الطبقي ضرورة من ضرورات العمران، وسبب وجوده تفاوت الفطر. ولذلك يقال: «الإنسان مدني بالطبع»، وقد قرر الله تعالى في القرآن الكريم هذه الحقيقة إذ يقول:

﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾.

تعريف الطبقة عند ماركس:

أما كارل ماركس فقد عرَّف الطبقة: «أنها الطائفة التي تكون لها مصالح معارضة لمصالح طبقة أخرى».

وعلى هذا التعريف لابد من فرض الشقاق والنزاع ودوام الصراع بين عموم الطبقات؛ ولذلك زعم الماركسيون أنه من الضروري القضاء على نظام الطبقات وإيجاد مجتمع ديمقراطي على مستوى واحد تنعدم فيه جميع الفروق الطبقية على أي حال.

وقد سعى الشيوعيون جهدهم وبذلوا كل ما يمكن بذله لتحقيق هذه الغاية، فهل انعدم من المجتمع نظام الطبقات ؟!

وجود الطبقات في المجتمع الشيوعي:

والواقع أن المجتمع الشيوعي يتمثل في غيره من الطبقات، فلا يزال في روسيا ـ مثلاً ـ طبقة العمال والفلاحين، وطبقة القادة العسكريين، وطبقة رجال البوليس السري

والمخابرات، وطبقة العلماء والرجال الأكاديميين، وطبقة المهندسين، وطبقة الفنانين والراقصين، وطبقة زعماء الحزب الشيوعي.

وقد وجدت هذه الطبقات في المجتمع الشيوعي بحسب تفاوت الدخل الذي قدرته الحكومة لهؤلاء حسب ميزان الاحتياج الذي صنعوه، فقد جعل المعدل الوسطي لحاجة العمال والفلاحين ما بين ٦٠٠ إلى ٧٠٠ روبل، كما جعل المعدل الوسطي للفنانين والراقصين يتراوح ما بين ١٤٠٠ إلى ٢٠٠٠ روبل، وجعل المعدل الوسطي للقادة العسكريين والعلماء والمهندسين يتراوح بين ٤٠٠٠ إلى ٧٠٠٠ روبل.

وقد عمدت الحكومة بعد الحرب العالمية الثانية إلى بناء منازل لأعضاء الأكاديمية، ومنحت كل واحد منهم سيارة وسائقاً خاصاً، وبهذا تكون الشيوعية الرسمية قد أوجدت نظاماً طبقياً أنحس مما عند غيرهم من نظام الطبقات، ولا شك أن محاربة أساس النظام الطبقي ما

هو إلا وقوف في وجه الطبيعة التي طبع الله الناس عليها، وحرب للفطرة التي فطر الله الناس عليها.

وقد سجلت حوادث التاريخ أن محارب الفطرة مدحور، والمتصدي لقهر الطبيعة مقهور.

ولسنا بهذا نقرر ترفع وتعالي طبقة على طبقة، أو بغي فئة على فئة، فنحن لا نرى فضل الرجل بماله ولا نرى فضله بوظيفته ولا نرى فضله بنسبه؛ وإنما الفضل عندنا بالأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة، والمرء في الواقع بأصغريه قلبه ولسانه.

(٥) القضاء على الحكومة.

الدعامة الخامسة من دعائم النظام الشيوعي هي القضاء على الحكومة والدولة، والشيوعيون يعتبرون أن القضاء على الحكومة هو النهاية الحتمية للنظام الشيوعي، وفي ذلك يقول ماركس:

«وبعـد أن تزول المنازعـات بين الطبقـات زوالاً نهائياً خلال التطور، وبعد أن يتركز الإنتاج كله في أيدي الأفراد المتشاركين، عندئذ تفقد السلطة العامة طابعها السياسي».

ثم يقول أيضاً:

«والدولة هي سلطة الطبقة المنظمة، تزول بزوال الطبقة، وعندئذ يكون عهد الشيوعية بكل ما تعني الكلمة».

وكأن ماركـس يقول إن وجود الحكومة مهما كانت من العوامـل التـي تفيد الشـعب وتحـول دون صبغتـه بكامل حريته، فلابد من زوال الحكومة لينطلق الشـعب في طريق حريته إلى أقصى الحدود.

وكأن ماركس يرى أن حقيقة الشيوعية لا يمكن أن تتكامل ما دام على رأس الشعب حكومة تديره، وفي ذلك يقول:

«الشـيوعية هـي عهد تسـوده الحريـة، وعـصر يزدهر فيه الإنسـان أكمـل ازدهار، فهو يحتم مـع زوال الطبقات زوال الحكومة».

ونحن لا نستطيع أن نجزم هل كان ماركس جاداً فيما يقول حينما يقرر هذه الحقيقة على أنها من دعائم النظام الشيوعي؟ وهل كان ماركس متمتعاً بقواه العقلية حينما يخرج على الناس بمثل هذه النظرية التي لم يعرفها التاريخ البشري في مجتمع ما من المجتمعات المتمدنة أو الهمجية على حد سواء؟ وحتى لو فرض وجودها في مجتمع بدائي همجي فهل يجيز العقل وجود مثلها في مجتمع ذي حاجات متفاوتة بل وإلحاح في طلب الكماليات.

وهل ظن ماركس أن فطر الناس المتباينة وطبائعهم المتنازعة سيؤول بها الحال إلى الزوال فيعيش الناس في الأرض يأكلون من نباتاتها المختلفة، ولحوم حيواناتها المتغايرة الطبائع، ثم يصيرون في نفس الوقت كملائكة السماء؟!

ولا نذهب بعيداً لنراجع نحن أو غيرنا في ذلك حوادث التاريخ، وإنما نلقي نظرة عابرة على واقع الحكومة في (المجتمع الشيوعي)؛ فالمعروف الذي لا يشك فيه من

عنده أدنى اطلاع أن الحكومة في بلاد الشيوعيين ومن ينحو نحوها تسير في طريق (الدكتاتورية) إلى حد لا نظير له في المجتمعات الأخرى؛ فمن مقررات ستالين:

«إن تقرير المصير لأي فرد أو أمة أو جماعة يجب ألا يتضارب مع حق الحزب الذي يمثل الجماهير الكادحة في أن يحكم حكماً دكتاتورياً».



ـ بين الشيوعية والاشتراكية ـ

يستعمل الكثيرون الشيوعية والاشتراكية على معنى واحد، غير أن بعض الناس يفرق بين الاشتراكية والشيوعية في الجملة من وجوه:

(١) أن الاشتراكية هي الخطوة الأولى للشيوعية.

(٢) أن الاشتراكية لا تمانع في قيام حكومة من طبقة العمال والفلاحين بخلاف الشيوعية الحقيقة فإنها لا تجيز أي نوع من الحكومات.

(٣) أن الشيوعية لا تبيح أي نوع من الملكيات بخلاف الاشتراكية، فإنها تجيز وجود بعض الملكيات الفردية في حدود ضيقة، وعلى قواعد تؤدي في النهاية إلى تلاشي هذه الملكيات.

الإسلام والاشتراكية:

هذا ولم يزعم زاعم ـ مهما كان ـ أن الإسلام والشيوعية قد يلتقيان، فلم نسمع إلى الآن صوتاً واحداً يقول:

- «إن الإسلام لا يتنافى مع الشيوعية».

إذ أصل الشيوعية هو إنكار الألوهية والدين، وإنما سمعنا أن بعض الناس ـ وقد يكونون من المنتسبين للإسلام أو للعلم ـ يزعمون أن الإسلام لا يتنافى مع الاشتراكية، وقد يتعامون عن أن الاشتراكية مذهب خاص، ذاتية هذا المذهب تخالف ذاتية الإسلام في روحه وصورته، كما يتجاهلون أن الإسلام دين الله الحق، قد أتى بجميع ما يسعد الناس في معاشهم ومعادهم.

وأن الرسول ﷺ لم يترك باباً من أبواب الخير إلا دل الناس عليه، ولا باباً من أبواب الشر إلا حذر الناس منه، بيد أنهم يقولون:

إن بعض نصوص القرآن كقوله تعالى: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾.

وكقول رسول الله ﷺ: «الناس شركاء في ثلاثة: في الماء، والنار، والكلأ». تدل على صحة المذهب الاشتراكي.

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على جهل هؤلاء بحقيقة الإسلام عموماً، وبمعنى هذه الآية وذلك الحديث خصوصاً؛ فالآية نزلت تشرح مصرف الفيء، وهو نوع خاص له طابع خاص من بين الأموال الإسلامية، وأما الحديث فقد بين موضع الشركة وهو الماء والنار والكلأ.

ولفظ الحديث يدل بمفهومه على أن ما عدا هذه الأشياء الثلاثة من الأشياء التي يمكن أن يتملكها الإنسان لا اشتراك فيها، ولو سلمنا جدلاً أنه قد يفهم من

هـذه الأدلة الدلالة على صحة المذهب الاشـتراكي - وإن كانـت لا تـدل بظاهـر ألفاظها عـلى ذلك كما أشرنـا ـ فإن صريح الكتاب وصحيح السـنة يدل بما لا مجال للشك فيه على حفظ ممتكلات الناس وأموالهم، فليسـتمعوا إلى قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾.

وإلى قول رسول الله ﷺ في حجة الوداع:

« ألا إن دماءكـم وأموالكم وأعراضكـم حرام عليكم كحرمـة يومكـم هذا في شـهركم هذا في بلدكـم هذا». ثم يؤكد رسول الله ﷺ فيقول: «ألا هل بلغت اللهم فاشهد».

ولا يختلـف اثنـان مـن أهـل العلـم في صحـة حديث رسول الله ﷺ إذ يقول: « من غصب شبراً من أرض طوقه الله بسبع أرضين يوم القيامة» فهذا هو دين الإسلام.

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾.

- القومية -

القومية في الجاهلية - والإسلام:

ظهر الإسـلام والعرب في تناحر مميت، وقتال مسـتمر يـأكل قويهـم ضعيفهم في غـارات لا تنقطـع وحروب لا يملونها.

وقد كانوا يثيرون هذه الحروب لأتفه الأسباب كحرب البسـوس، وقـد كانت هـذه الحروب تعمـر حتى يصطلي بنارهـا الأجداد والآبـاء والأبناء والأحفـاد، وحينما أكرم

الله الإنسانية بمحمد ﷺ، فبعثه إليهم رسولاً كان فيما أنزل عليه:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.

وقد كان من مهمة رسول الله ﷺ دعوة الناس جميعاً إلى الإسلام، ولا فرق بين عربي وأعجمي، فأدى رسول الله ﷺ مهمته على أكمل وجه، وأعلن للعالم أنه:

«لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى».

وقد حرص رسول الله ﷺ أن يزيل من نفوس العرب جميع سمات الجاهلية من التفاخر بالآباء والتعالي على الناس، وبينَّ أن:

«من دعا إلى عصبية أو أحيا عصبية ثم مات فميتته جاهلية».

وحينما دس بعض اليهود من يثير في صفوف الأنصار ضغائن الجاهلية التي كانت بين الأوس والخزرج، وذهب

هـذا اليهودي وألقى بعض الأشـعار التي كانت قد قيلت في الحـروب بينهـم أيـام الجاهليـة، فثـار الحيـان ـ الأوس والخزرج ـ وهموا بالقتال وتواعدوا الحرة.

وحينـما علم بذلك رسـول الله ﷺ جاءهـم وخطبهم، وأشـار إلى أن هذه دعوة الجاهلية، فبكوا ورشدوا، وأنزل الله تعالى في ذلك:

﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

ولما حدث مرة نزاع بين غلام للأنصار وغلام للمهاجرين ونادى الغلام الأنصاري:

- يا للأنصار!

ونادى الغلام المهاجري:

- يا للمهاجرين!

وسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال:

«دعوها فإنها منتنة».

وفقه المسلمون الأولون هذه الحقيقة، وأشربت قلوبهم روح الإسلام، فكان المنتسب يفتخر بإسلامه لا بنسبه وآبائه حتى قال قائلهم:

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم

بداية ظهور الشعوبية والقومية:

وفي بعض أوقات ضعف المسلمين ظهرت بعض الدعوات (الشعوبية) التي تفتخر بأنسابها أو أوطانها، وقد لقيت هذه الدعوات إنكار أهل العلم فلم تحظ بالحياة إلى زمن طويل.

وفي أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، وحينما تكالبت أوربا (النصرانية) في سعيها الحثيث للقضاء على الإسلام بعد فشلها في الحروب الصليبية، وحينما عرف الأوربيون أن طريق الحرب السافرة ضد الإسلام لا تزيد المسلمين إلا استمساكاً بدينهم ودفاعاً عن بيضتهم.. فكر كثير من قادة النصرانية في حيل شتى لتمزيق شمل المسلمين، وتفريق كلمتهم وقطع أوصالهم والقضاء على (الخلافة) الإسلامية.

ورأوا أن أخطر ما يمكن أن يضرب به الإسلام هو الحملة العنيفة للقضاء على (الخلافة العثمانية).

فتواطأت أوربا على ما أسمته (تركة الرجل المريض)

وكان من أبرز حيلهم في هذا السبيل هو أن يقوم دعاة النصرانية في البلاد العربية التي فتحت أبوابها لهم وعلى الأخص «سوريا ولبنان» .. أن يقوم هؤلاء الدعاة النصارى بالإيعاز إلى بعض الأفراد بالدعوة إلى القومية العربية ليهيجوهم ضد الحكم التركي الذي كان يقض مضاجع أوربا.

ونجحت هذه الفكرة الصليبية، فراجت على بعض العرب ممن لم يفقهوا حقيقة الإسلام.

وراح دعاة النصارى يضعون الخطط لنشر هذه الدعوة الجديدة في عامة البلاد العربية، وعقدوا في (باريس) أول مؤتمر للقومية العربية عام ١٩١٠ الميلادي.

وقد نجح دعاة النصرانية في الترويج للقومية العربية حتى وقع فيها كثير من الناس، وصارت بعض الحكومات الانقلابية لا همَّ لها ولا غرض إلا الدعوة إلى القومية العربية واتخذت ذلك شعاراً يعد من أبرز شعاراتها.

وزعمت فيما زعمت أن الدعوة إلى القومية العربية تنتهي إذا نجحت بتوحيد كلمة العرب حتى يكونوا قوة قوية في وجه الاستعمار.

وقد صرح هؤلاء مراراً وتكراراً أن الدعوة إلى (القومية العربية) تقضي على جميع النزعات (الطائفية والدينية)، فلا فرق في هذه القومية بين مسلم ويهودي ونصراني ومجوسي وملحد ما داموا مندمجين في القومية العربية.

وهذا لا شك كفر صريح بالأديان كلها وخاصة الإسلام.

على أنه مع كثرة هؤلاء الدعاة ـ لا كثرهم الله ـ فإننا إلى الآن لم نقف على تعريف مميز لحقيقة القومية العربية:

فبعض دعاتها يعرفها بأنها: الوطن والنسب واللغة العربية.
وبعضهم يجعل قوامها الوطن، ويحده من الخليج إلى المحيط.

وبعضهم يجعل قوامها النسب وحده.

وبعضهم يجعل قوامها اللغة وحدها.

وقد صرح أخيراً أحد رؤساء الوزارات الانقلابية بأن القومية العربية ما هي إلا (مذهب اقتصادي) محض لا دخل له في نسب ولا لغة، ولعل الذي حمله على ذلك وجود فئة كبيرة من الأعاجم تنازعهم السلطان.

وبعضهم يقول: إن القومية العربية هي المشاركة في الآلام والآمال.

فعلى تعريف القومية بالوطن العربي يصبح لكل متوطن في إقليم من أقاليم الوطن العربي الحق في الانتماء إلى القومية العربية.

فاليهود ـ مثلاً ـ الذين اغتصبوا أرض فلسطين وأخرجوا منها أهلها واستوطنوا هذه الأرض العربية يمكن لهم أن يدعوا أنهم داخلون في مسمى القومية العربية كذلك.

ولعل هذا هو الذي يريده بعض دعاة القومية العربية ومن أجله يدندنون حولها.

ـ الخاتمة ـ

ونظرة ـ ولو عابرة ـ إلى هذه التعاريف تدل على أن هؤلاء الدعاة يخوضون في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب، ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور.

وختام المسك في ذلك قول فاطر السموات والأرض المنزل على أكمل خلق الله ﷺ:

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

عبد القادر شيبة الحمد

